118987 ـ قوله تعالى : (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون)

السؤال

يروي الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش ، والقلم ، وآدم ، وجنة عدن ، ثم قال لسائر الخلق : كن فكان) الدارمي في رده على المريسي (ص90) ، الأسماء والصفات للبيهقى (ص233) لكننا نجد في سورة يس ، آية/71 أن الله تعالى يقول : (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون) ، فأرجو توضيح هذا الأمر .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

الحديث المذكور في السؤال ، قد سبق الجواب عليه في جواب السؤال رقم : (117279) .

ثانياً :

هذه الآية من سورة " يس " لا تدل على أن الله سبحانه وتعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم عليه السلام بيده ، فمن تأمل قوله عز وجل : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُوْن) يس/71 ، ظهر له من المعنى العام والسياق أن المقصود هو ذكر منّة الله تعالى على البشر بما خلق لهم من هذه الأنعام ، وليس المقصود النص على ذكر الخلق بـ " اليد " التي هي صفة من صفات الله تعالى ، وذلك لعدة قرائن :

1- ذكر الأيدي بلفظ الجمع ، مضافاً إلى ضمير الجمع أيضاً " نا " الذي يقصد به التفخيم والتعظيم .

2- عدم تعدية الفعل " عَمِل " بالباء ، فلم يقل : عملنا بأيدينا ؛ لأن التعدية بالباء هي التي تؤكد إرادة الحقيقة في السياق ، كما جاء ذلك في قوله عز وجل : (خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)

3- ولو كان كل شيء خلقه الله بيده التي هي صفته سبحانه لما كان لخلق آدم بيده على سائر الخلق فضيلة ، ولاحتج إبليس على ربه عز وجل بقوله : وأنا خلقتني بيدك يا رب ، فلماذا أمرتني بالسجود لآدم ؟!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" فقوله : (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) : لا يجوز أن يراد به القدرة ؛ لان القدرة صفة واحدة ، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد ، ولا يجوز أن يراد به النعمة ؛ لأن نعم الله لا تحصى ، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية ، ولا يجوز أن يكون : " لما خلقت أنا " ؛ لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد ؛ فتكون إضافته إلى اليد : إضافة له إلى الفاعل ؛ كقوله : (بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ) ، و (قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) ، ومنه قوله : (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاما) .

أما إذا أضاف الفعل إلى الفاعل ، وعدي الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله: (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) ، فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه .

ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى : أن يقال : " فعلتَ هذا بيديك " ويقال : " هذا فَعَلَته يداك "؛ لأن مجرد قوله : " فعلت " كاف في الإضافة إلى الفاعل ، فلو لم يرد أنه فعله باليد حقيقة كان ذلك زيادة محضة من غير فائدة " انتهى.

"مجموع الفتاوى" (6/366)

وقال ابن القيم رحمه الله :

" لفظ : " اليد " جاء في القرآن على ثلاثة أنواع : مفرداً ، ومثنى ، ومجموعاً :

فالمفرد كقوله : (بِيَدِهِ المُلكُ)

والمثنى كقوله : (خَلَقتُ بِيَدَيَّ)

والمجموع كقوله : (عَمِلَت أَيدِينَا)

فحيث ذكر اليد مثناة أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد ، وعدَّى الفعل بالباء إليهما ، فقال (خلقت بيدي)

وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ، ولم يعد الفعل بالباء ، فهذه ثلاثة فروق ، فلا يحتمل (خلقت بيدي) من المجاز ما يحتمله : (عملت أيدينا)

فإن كل أحد يفهم من قوله : (عملت أيدينا) ما يفهمه من قوله : عملنا ، وخلقنا . كما يفهم ذلك من قوله : (فبما كسبت أيديكم)

وأما قوله : (خلقت بيدي) فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى ، فكيف وقد دخلت عليها الباء ، فكيف إذا ثنيت !!

وسر الفرق أن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد ، والمراد الإضافة إليه ، كقوله : (بما قدمت يداك)، (فبما كسبت أيديكم)

وأما إذا أضيف إليه الفعل ، ثم عدي بالباء إلى يده ، مفردة أو مثناة ، فهو ما باشرته يده ، ولهذا قال عبد الله بن عمرو : (إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثا : خلق آدم بيده ، وغرس جنة الفردوس بيده ، وذكر الثالثة)

فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ، ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الموقف يأتونه يوم القيامة فيقولون : (يا آدم ! أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء ، فاشفع لنا إلى ربك) فذكروا أربعة أشياء كلها خصائص ...

وهذا التخصيص إنما فهم من قوله : (خلقت بيدي) ، فلو كانت مثل قوله : (مما عملت أيدينا) لكان هو والأنعام في ذلك سواء ، فلما فهم المسلمون أن قوله : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) موجبا له تخصيصا وتفضيلا بكونه مخلوقا باليدين على من أمر أن يسجد له ، وفهم ذلك أهل الموقف حين جعلوه من خصائصه : كانت التسوية بينه وبين قوله : (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً) خطأ محضاً " انتهى.

"الصواعق المرسلة" (ص/75-76)

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله :

" وليس المراد هنا الصفة الذاتية ـ بغير إشكال ـ ، وإلا استوى خلق الأنعام وخلق آدم عليه السلام " انتهى.

"فتح الباري" لابن رجب (1/7)

والله أعلم .